ولاحظت النوار وهي مريضةٌ ... وقد وضعت خدّا إلى الأرض أضرعا

كما لاحظت عواده عين مدنف ... توجّع من أوصابه ماتوجّعا

وظلّت عيون النور تخضلّ بالنّدى ... كما اغرورقت عين الشجي لتدمعا

وبين إغضاء الفراق عليهما ... كأنهما خلاّ صفاء تودّعا

وقد ضربت في خضرة الرّوض صفرة ... من الشمس فاخضرّ اخضراراً مشعشعا

وأذكى نسيم الرّوض ريعان ظله ... وغنّى مغني الطير فيه فسجّعا

وغرّد ربعيّ الذباب خلاله ... كما حثحث النشوان صنجاً مشرعا[١٨٨]

فهذه الصور الشعرية -إذن- نفثة كئيبٍ كريبٍ، وأنشودة نفسٍ وَصيةٍ وجعةٍ، عانقت مغيب الشمس نبتةَ شكواها ودَنفها في "شعور عميقٍ بوحشة الغروب وماينعكس من ذلك الشعور العميق على الشمس من ترنيقٍ، وضراعةٍ، وانكسارٍ ونظرٍ يائسٍ كنظر المريض إلى العواد ووجوم شائعٍ بينها وبين عيون النّوار التي تغرورق على الأغصان لتدمع وتلحظ ألحاظاً خشّعاً من الشّجو والإغضاء".

وهذا النموذج الشعري، ضربٌ من التّشخيص الشعوري الذي مثّله ابن الرّومي أحسن تمثيل، وهو بخلافِ التّشخيص اللّفظي الذي هو لعبٌ بالألفاظ وتسلسلٌ مفتعلٌ للأفكار والخواطر.

وعلى الرغم ممّا لهذا التّداعي من أهميةٍ في تشكيل صور شعوريةٍ مشخصةٍ متناسقةٍ، فإنّه ههنا في التشخيص اللّفظي يعتمد على آليةٍ تتابع المناظر في شعورٍ مُبْهمٍ، ينمّ على ملكةٍ عقيمةٍ دأبها محاكاة قوالب جاهزة، وتشبيهات محفوظةٍ من شعر الأقدمين، وقد ساق العقاد، المثال السّابق حجّةً على بعض الشعراء المقلّدين ممّن "ينظر إلى الشمس في هذاالمشهد -مشهد غروب الشمس- فيجعلها حسناء مفارقة، ومادامت حسناء مفارقة فهي معشوقة أو عاشقة، ومادامت معشوقة أو عاشقة، فهناك قصّة غرام تدور على هذا المعنى إلى حيث ينتهي بها المطاف، وكلّ هذا، لأنّ الشمس مؤنثة

---

(١٨٨) العقاد ، عباس ابن الرومي حياته من شعره، ص: ٢٥٠-٢٥١.

هكذا وردت الأبيات في كتاب العقاد، ويلاحظ فيها غياب جواب الشرط "إذا" وبعد مراجعة الديوان تبيّن أنها مجتزأة من قصيدة طويلة في الطّرد.